أسلوبية الحذف وجمالياته في الحديث النبوي الشريف

الجمعي حميدات*

ملخص البحث:

إن اللّغة العربية لغة أدبية ذات تعبير فنّي مقصود، طوّعها المتكلمون بها للتعبير عن المواقف الكلامية والنفسية المختلفة، وأكبّ دارسوها على تأصيل قواعدها، وبيان مستويات وجماليات الأداء فيها، فتعرضوا بالبيان والتوضيح للمواضع التي لا يكون فيها الكلام جاريا على وفق القياس اللغوي للجملة من حيث تكامل أركانها، ومنها (الحذف).

وباعتبار الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها كثير من اللغات الإنسانية، إلا أنّ مظاهرها تتجلى في العربية أكثر من غيرها، بسبب ميل العربي إلى الإيجاز الذي تتعدد طرقه وتكثر أغراضه بسبب الانحراف عن المستوى التعبيري العادي .

فجاء الحذف في العربية لأسباب كثيرة وشروط عدة وأنواع مختلفة تناولها اللغويون والبلاغيون، لذلك تكررت هذه الظاهرة وأخذت أشكالا عدة وصورا مختلفة في الحديث النبوي الشريف تختلف باختلاف المقصد والغاية من وراء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* باحث من الجزائر.

أسلوبية الحذف وجمالياته في الحديث النبوي الشريف

(أحاديث من كتاب الصحيحين أنموذجا)

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن استنّ بسنّته وسار على هديه إلى يوم الدين وبعد:

مما لا شك فيه أن اللغة العربية لغة أدبية ذات تعبير فني مقصود، طوّعها المتكلمون بها للتعبير عن المواقف الكلامية والنفسية المختلفة، وأكبّ دارسوها على تأصيل قواعدها، وبيان جماليات مستويات الأداء فيها، إلا أنّ سياقاتها اللغوية وأنظمتها البلاغية تلجأ أحيانا إلى ضروب من الفنون البلاغة، على سبيل الاختصار والإيجاز، ومنها **(الحذف)** فتعرضوا له مبينين أثره في الأعراب بإسهاب، ومشيرين إلى أثره الجمالي باقتضاب، سواء من أهل البلاغة أو اللغة والنقد وغيرهم.

لذلك حفلت الجهود النحوية والبلاغية على الخصوص بأهمية الحذف في اللسان العربي خاصة حين ارتبطت دراستهم بالنص القرآني والكلام العربي شعره ونثره، وبالسّنة النّبوية المطّهرة داعمة ومكمّلة لمظاهر الفصاحة والبيان خاصة، وهي التي عبّرت عن كثيف المعاني بألفاظ يسيرة، تعكس بديع نظمه وجمال أسلوبه صلى الله عليه وسلم، و التي غذّتها البيئة العربية الأصيلة من جهة، وموهبة ربانية بغرض توصيل الرسالة الإسلامية إلى الناس بأوجز لفظ يقتضيه المقام حين يتعانق مع السياق بصورة موحدة في نسيج النص النبوي وبنيته المحكمة من جهة أخرى.

ويعد الحذف ـ كظاهرة أسلوبية ـ ضربا من ضروب البلاغة والفصاحة، حيث عدّ عند العرب أحد أنواع الإيجاز(**القصر والحذف**)، لذلك أكّدت الاستعمالات اللغوية أن العرب قد نفّرت مما هو ثقيل في لسانها، ومالت إلى ما هو خفيف، ومن ثم عمدوا إلى الحذف لتحقيق ما أرادوه.

.وقد استعمل النحويون مصطلحي الحذف والإضمار أحدهما مرادفا للآخر، في حين استعمل البلاغيون مصطلح الحذف وحده، وقد حاول "الزركشي" (ت ٧٩٤هـ)بيان الفرق بين الإضمار و الحذف فقال: "إن شرط المضمر بقاء أثر المقدّر في اللفظ نحو: انتهوا خيرا لكم" النساء ١٧١.أي ايتوا أمرا خيرا لكم، وهذا لا يشترط في الحذف، ويدل على أنه لابد في الإضمار من ملاحظة المقدر "باب الاشتقاق": فإنه: من أضمرت الشيء: أخفيته، أما الحذف فمن حذفت الشيء: قطعته، وهو يشعر بالطرح بخلاف الإضمار ولذلك قالوا: «أن» تنصب ظاهرة ومضمرة.[1]

---

[1] محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعرفة بيروت- ١٣٩١ هـ ج٣- ص: ١٠٢- ١٠٣

وقد بين "**الدكتور محمد عيد**": نتيجة استقرائه لاستعمال هذين المصطلحين عند النحويين بقوله: كلمتا "مضمر ومحذوف"، "وإضمار وحذف" تتبادلان التعبير عما يفهم من موضوع الحذف لدى النحاة".[١]

وقد تابعه الدكتور "طاهر سليمان حمودة" حيث قال "الواقع ان المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداء من سيبويه، ولا توجد تفرقة دقيقة تراعى في استعمالها باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفا" [٢].

ويذكر البلاغيون ضرورة تقدير المحذوف حتى لا يحمل الكلام على ظاهره، وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم، فقد قال "**عبد القاهر الجرجاني" في هذا الباب: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن**"[٣]، **ثم قال: " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في حال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به**"[٤] ولذلك كانت عنايتهم بالحذف أو الذكر بما يمكن الاستغناء عنه ويجوز حذفه أو ذكره، فيحذف أو يذكر بناء على مراعاة حال المخاطب .

ولا يمكن أن تكون إطلالتنا هذه تنظيرا لظاهرة الحذف في اللغة العربية وما يعتريها من أحكام، بل القصد منها محاولة الكشف عن دلالات الحذف المختلفة ومدى جمالياتها في المعنى عن طريق الجمع بين الدراسة البلاغية والدراسة النحوية، وذلك بعد أن وقع الاختيار على مادة الحديث النبوي الشريف موضوعا للتطبيق، من خلال أحاديث صحيحة من كتاب الصحيحين، وذلك بغرض معرفة أثر الحذف النحوي على المعنى في السنة النبوية المطهرة.

ظاهرة الحذف بين النحويين والبلاغيين:

إن الحذف ظاهرة تتصف بها جميع اللغات الإنسانية، ولكنها أكثر وضوحا وثباتا في لغة العرب، إذ يميل إليها العربي رغبة في الإيجاز[٥] على ألاّ يؤثر ذلك في وضوح المعنى، لذلك كان لعلماء العربية الدور الكبير في رسم صورة واضحة عن الحذف، ولا شك أنّ أول من طرق بابه هم النحاة الذين عنوا بدراسته فتنبهوا لأنواعه وأدلته وشروطه، وفصّلوا القول فيه، فقد أشار سيبويه(١٨٠هـ)في"كتابه" حين وضع الحذف تحت باب أسماه: "**باب ما يكون من اللفظ في الإعراض**": "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم .وان كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون

---

[١] محمد عيد أصول النحو العربي، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٣ ص: ٢٠٠

[٢] طاهر سليمان حمودة ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي الدار الجماعية للطباعة مصر ١٩٨٢ ص: ١٨

[٣] الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز تعليق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي القاهرة ص: ١٤٦

[٤] الجرجاني دلائل الإعجاز ص: ١٥٢

[٥] ينظر ـ طاهر سليمان حمودة ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص: ٠٩

ويعوّضون ويستعينون بالشيء عن الشيء، الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا مهما حذف وأصله في الكلام غير ذلك: "لم يك"، "ولا أدر" وأشباه ذلك [١].

أما "**ابن هشام الأنصاري** (٧٦١هـ)" فقد كان من أكثر النحاة اهتماما بهذه الظاهرة، فقد ذكر ثمانية شروط، ممثّلا لذلك بشواهد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية، يمكن توضيحها وهي: **الأول**: وجود الدليل الذي يدل على المحذوف كالقرينة مثلا، **والثاني**: ألا يكون ما يحذف أصلاً كالجزء ولا يحذف الفاعل ولا نائبه والثالث: ألاّ يكون ما يحذف مؤكداً، **والرابع**: ألا يؤدي حذف المحذوف إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله لأنّه اختصار للفعل، **الخامس**: ألا يكون عاملا ضعيفا ... **السادس**: ألا يكون عوضا عن شيء **والسابع والثامن**: ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعة عنه، ولا إلى اعمال العامل الضعيف مع امكان أعمال العامل القوي.....) [٢].

وقد تحدث النحاة و البلاغيون عن أسباب الحذف، وهي أسباب حاولوا بها تفسير الظاهرة في مواضيعها، وأنواعها المختلفة، وبعض الأسباب مطردة تماما بحيث يقع الحذف عند وجودها، وبعضها الآخر لا يطرد تماما، ويمكن حصر هذه الأسباب في: [٣] "كثرة استعمال"، "طول الكلام"، "الضرورة الشعرية"، "الحذف للإعراب"، "الحذف للترتيب"، "الحذف لأسباب قياسية"، "صرفية أو صوتية"، "لالتقاء الساكنين"، "حذف حروف العلة استثقالا"، "الحذف للوقف"، "لأسباب قياسية تركيبية".

فالحذف إذا من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية بوصفها انحرافا عن المستوى التعبيري العادي، و يستمد الحذف أهميته في كونه لا يورد المنتظر من الألفاظ، وإنما يذهب بالمتلقي مذاهب متعددة بعيدة، ومن ثم يفجّر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر فيما هو مقصود، وهو ما أرادت الدراسة إثباته بحثا عن جمالية هذه الظاهرة وأصلها في الأدب النبوي الشريف من جهة، وباعتباره كذلك ضربا من ضروب التناسق والترابط بين أجزاء النص النبوي من جهة أخرى.

صور الحذف ودلالاته في أحاديث الرسول ص: (دراسة تطبيقية)

فإذا كان اهتمام البلاغيين بالحذف كأسلوب بلاغي وشكل من أشكال العدول في البنية التركيبية يرقى بالكلام ويسمو به على مستوى بلاغي، فإن اهتمام الأسلوبين به ازداد بوصفه ظاهرة أسلوبية ترقى بالكلام من مستواه العادي إلى مستوى عال يزخر بشحنات دلالية، ويتميز بحسن السبك وقوة التماسك، كما يسهم في توسيع مجالات النص من خلال تفاعل البنية السطحية التي ينطق بها ظاهر اللّفظ والبنية العميقة بوصفها عملية ذهنية ينهض بها

---

[١] ينظر سيبويه الكتاب تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بيروت ١٩٨٣ ج ١ ص ٢٥/٢٤ .

[٢] ابن هشام الأنصاري مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب تحقيق حنا الفاخوري دار الجيل بيروت لبنان ١٩٩٠ م ج٢ ص ٣٤٦....))

[٣] ينظر: طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص ٢٧ .

المتلقي اعتمادا على فطنته وذكائه، وقد أخذ الحذف في الحديث النبوي الشريف أشكالا وصورا عدة تم رصدها بالدراسة والتحليل مع توضيح بعض الدلالات المختلفة فيما يلي:

١/ حذف المبتدأ لدلالة السياق عليه: يعد حذف المبتدأ ظاهرة أسلوبية كثيرا ما تصادفنا في النصوص القرآنية و الشعرية، وكذا في الحديث النبوي الشريف، ورغم كونه ركنا أساسيا في الجملة إلا أنه قد يحذف إن دلت عليه قرينة ولم يتأثر المعنى بحذفه، ومن ذلك حديث الحارث بن عاصم الأشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال "**.....كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**"[١] فتلحظ في الحديث حذفا عائدا إلى المبتدأ تاركا الخبر في سياق الحديث، "بائع"، ف(بائع) خبر لمبتدأ محذوف تقديره(هو بائع نفسه)، ولعل السبب البلاغي الكامن وراء حذفه هو دلالة سياق الحديث عليه بقرينة أنّ المبتدأ يكثر حذفه بعد (فاء الجزاء)، كما في الحديث، ومعلوم أن المحذوف إن دلت عليه قرينة تشير إلى حذفه كان ذكره في الكلام أشبه ما يكون زائدا عليه، ولأنه معلوم من السياق تم حذفه، وبحذفه جعل الاهتمام متوجها إلى غرض الحديث المرجو ايصاله إلى السامع، وذلك أ نّ الإنسان إمّا منج لنفسه من عذاب النار أو مهلكها في النار، والنتيجة متوقفة على أعماله صالحة أو طالحة.

● **حذف المبتدأ بعد القول**: ورد هذا النمط في صحيح البخاري بصور كثيرة جدا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل: "وما بركات الأرض؟ قال: زهرة الدنيا"[٢]، فالبنية الأساسية لقوله صلى الله عليه وسلم: "زهرة الدنيا

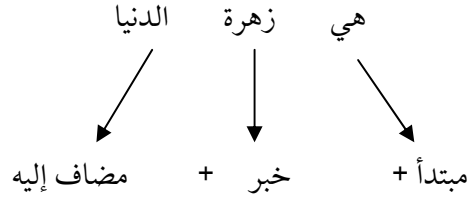

فحذف المبتدأ (المسند إليه) للدلالة السياق في سؤال السائل: وما بركات الأرض؟ فاستغنى بالحذف عن تكرار المبتدأ المفهوم من السياق وجاء الحذف لغرض بلاغي هو الإيجاز.

● **حذف المبتدأ جوازا بعد فاء الجزاء**: كثيرا ما وردت هذه الأنماط في صحيح البخاري، في أسلوب الشرط ومتعلقاته خاصة الجواب المقترن بالفاء سواء كانت الأداة جازمة او غير جازمة" ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "إذا مات أحدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة و العشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار"[٣] فالبنية الأساسية لقوله صلى الله عليه وسلم في جملة الجواب: إن كان من أهل الجنة.

---

[١] أخرجه مسلم في كتاب الطهارة حديث رقم ٢٢٣ باب فضل الوضوء.

[٢] (محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري ضبط د مصطفى ديب البغا منشورات دار الهدى للطباعة والنشر / الجزائر ١٩٩٢) أخرجه البخاري، حديث رقم ٤٦٢٧، كتاب الرقاق، ما يحذر من زهرة الدنيا.

[٣] اخرجه البخاري (٣٢٤٠) كتاب بدء الخلق، كتاب الجنائز، ١٣٧٩.

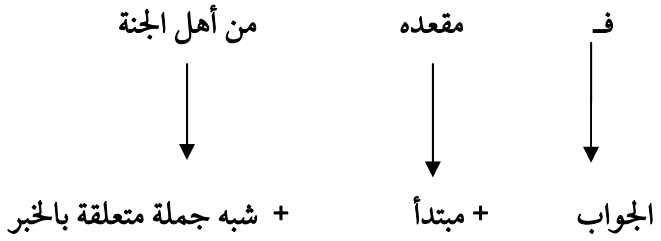

وقد أصيب البناء الظاهري بحذف المبتدأ وتم تقديره: (مقعده) دون "هو" لئلا يظن عودته على الشخص نفسه، وعملا بوجوب مخالفة الجواب لجملة الشرط كما وضحها النحاة، وبذلك يكون الجواب جملة اسمية واقعا في جواب الشرط، وكذلك ورد الحذف في قوله صلى الله عليه وسلم :"والمزابنة : أن يبيع الثمر بكيل، إن زاد فلي، وإن نقص فعليّ"[1]، فالبنية الأساسية لقوله: فلي، وقوله: فعليّ هي:

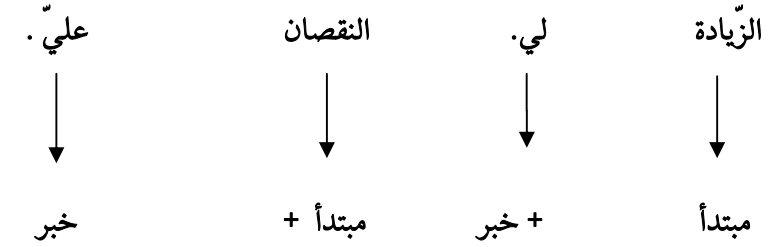

فقد حذف المبتدأ من الكلام لدلالة السياق المتقدم عليه، ومما يدلّ على أن المحذوف مبتدأ، والجملة اسمية دخول الفاء في جواب الشرط، وهو واجب عند النحاة كما سلف ذكره .

● **حذف المبتدأ في جملة منسوخة** : إذا سبق المبتدأ بناسخ حرفي أو فعلي، فانه يجوز حذفه بناء على حالات الحذف كما نجده في أحاديث عدة ذكرها البخاري منها قوله صلى الله عليه وسلم: "**التمس ولو خاتما من حديد**"[2] فجملة: "..... **خاتما من حديد** "اسمية منسوخة بناسخ فعلي(**كان**) المحذوفة مع اسمها (المبتدأ)لأن البنية الأساسية للجملة :"ولو كان الملتمس خاتما من حديد "وهو حذف جائز بعد (لو): التي تفيد التقليل والربط[3]

---

[1] ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري دار الحديث القاهرة، حديث رقم ٢١٧٢ كتاب البيوع، باب، الزبيب بالزبيب.

[2] صحيح البخاري حديث رقم ٥١٢١ كتاب النكاح، عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

[3] ينظر، ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١ المكتبة المصرية ج١ ص: ٢٩٧.

٢/ **حذف الخبر**: حذف الخبر ظاهرة أسلوبية كثيرة الاستعمال في الكلام العربي، فكما أن لحذف المبتدأ غرضا هو الاحتراز عن العبث في الكلام، ووجوب أن يكون هناك قرينة على حذفه، كذلك الحال بالنسبة لحذف الخبر، وقد وردت صور حذف الخبر في الحديث النبوي بأشكال عدة وأنماط مختلفة منها:

● **حذف الخبر الواقع جوابا للاستفهام**: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن قصة معراجه مع جبريل، وخطاب الملائكة عند كل سماء لجبريل عليه السلام فيقول: ....**قيل من معك**؟ قال: **محمد**.[1] فالبنية الأساسية لقوله: محمد: هي:

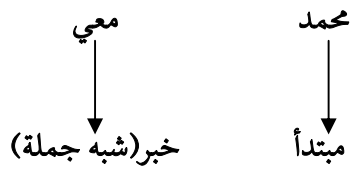

فحذف الخبر(شبه الجملة المتعلق) جوازا لدلالة السياق عليه، حيث يفهم من سياق السؤال المتقدم الخبر المحذوف اختصارا وإيجازا، وليشارك المخاطب المتكلم ذهنيا في إعادة تركيب دلالة الجملة بالجزء الذي حدث له تحويل بالحذف(الخبر).

● **حذف الخبر بعد إذا الفجائية**: يحذف الخبر بعد إذا الفجائية مع المبتدأ ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **فرفعت بصري فإذا الملك** ..."[2] والتقدير في الإعراب: فإذا الملك "موجود"، "فموجود" خبر لمبتدأ محذوف يعكس البنية الأساسية للجملة من مبتدآ وخبر ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم راويا ما حدث معه ليلة الإسراء المعراج عند سدرة المنتهى: "رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار"[3] فالبنية الأساسية لقوله صلى الله عليه وسلم:

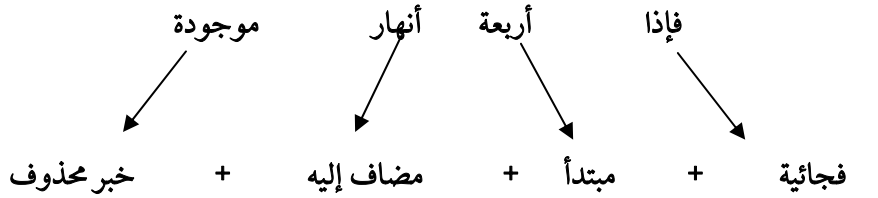

فحذف الخبر، وحذفه جائز للاختصار والإيجاز، واعتمادا على فهم المخاطب لسياق الحديث ليكمل على هذا الفهم معرفة الجزء المحذوف من الكلام ليشارك المستمع النبي في فرحته، بفضل الله وعلى أمته بما أعد لهم من نعيم من خلال ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الرحلة وهو حذف ـــ إضافة إلى الاختصار ـــ فإنه يحمل

---

[1] صحيح البخاري، حديث رقم ٣٤٣٠ باب أحاديث الأنبياء.
[2] فتح الباري حديث رقم ٤ كتاب بدء الوحي.
[3] فتح الباري حديث رقم ٥٦١٠ باب شرب اللبن ـ كتاب الاشربة .

تعجيل المسرة والفرحة للمخاطبين، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما تحمله (إذا الفجائية)من دلالة تشير إلى عدم توقع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المنظر وما رآه من أنهار.

●**حذف الخبر بعد لولا** : قد ورد الحذف في الحديث النبوي للخبر أكثر من عشرين حديثا تراوح بين الحذف الواجب، والجائز، لكونه ليس (**كونا عاما**)، بل هو (**كون خاص**)، ومن ذلك قول أبي سفيان "... فو الله لولا الحياء من أن يأثروا (**أصحابي**) **عليّ كذبا لكذبت عنه....**"[1] **والتقدير: لولا الحياء "موجود"، أو جملة فعلية: لولا الحياء "يمنعني"، وهو من باب الحذف الواجب، لكون** الحياء موجودا، "كون عام" وبذلك تكون البنية الأساسية:

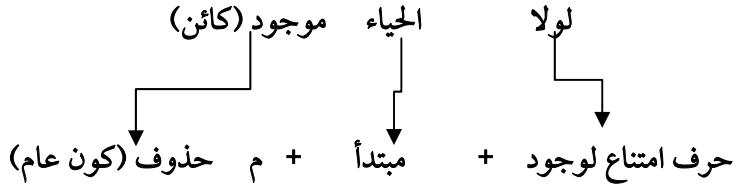

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها ....."[2] فالبنية الأساسية للجملة: لولا بنو إسرائيل، مكونة من مبتدأ + خبر محذوف :

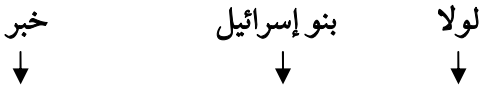

حرف امتناع لوجود + مبتدأ + مضاف إليه + خبر محذوف

وهو حذف يفيد الاختصار والتخصيص لعلم الناس، كما جاء في التفاسير أن بني إسرائيل هم سبب في نتن اللحم لأنهم لم ينتهوا عن ادخاره، حتى أنتن، فبذلك كانوا السبب في حدوث جواب الشرط .

وقد يحذف الخبر بعد المبتدأ الواقع مصدرا مؤولا : كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لولا أن اشق على أمتي ما تخلفت عن سرية..."[3] فالبنية الأساسية للجملة الاسمية :

---

[1] صحيح البخار حديث رقم ٧ باب بدء الوحي.

[2] صحيح البخاري حديث رقم ٣١٥٢ باب الأنبياء ويخنز اللحم أي ينتن وقيل أن سبب ذلك أنهم نهوا عن ادخار السلوى، فادخروه فأنتن عقوبة لهم، فاستمر نتن اللحوم من ذلك الوقت ولولا حواء بدأت بالخيانة وكانت خيانتها في دعوتها لأدم للأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها (فتح الباري ١١/٧).

[3] صحيح البخاري حديث رقم ٢٨١٠ باب الجهاد .

لولا + أن اشق على أمتي + الخبر المحذوف

↓ ↓ ↓

حرف امتناع لوجود+ مصدر في محل رفع مبتدأ+ محذوف(حاصلة، كائنة)

فالمصدر المؤول: "أن اشق على أمتي": في محل رفع مبتدأ، فالتقدير: لولا (مشقتي)، للخبر المحذوف تقديره (موجودة)، (حاصلة)، وهو حذف واجب لكون المشقة "كونا عاما" جلبا للاختصار والإيجاز الناتج من خلال سياق الحديث(الجهاد).

وقد يكون المبتدأ مصدرا مؤولا من أن مع اسمها وخبرها، مع خبر محذوف كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها"[1] فقد أورد البخاري هذا الحديث في باب "اللقطة" وذلك حين مرّ الرسول صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق قال: "لولا أنّي أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها"، فالبنية الأساسية من الشرط وجوابه، مكونة من

لولا أني أخاف لأكلتها.

↓ ↓ ↓

حرف امتناع لوجود+ مصدر مؤول مبتدأ+ جملة جواب الشرط

فالمصدر المؤول "إنّي أخاف" من أن + اسمها (ضمير) +الخبر "في محل مصدر مؤول مرفوع (مبتدأ)" تقديره لولا "خوفي" : لخبر محذوف تقديره "موجود" أو" حاصل" وجاء الحذف من باب الاختصار والإيجاز لعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطورة أكل اللقطة، ففيه إضافة إلى الإيجاز- نوع من الترهيب والتخويف. وجملة "لأكلتها": "جواب لشرط غير جازم لا محل لها من الإعراب".

فنلحظ من خلال مواطن حذف الخبر أن الحذف يدخل في باب الحذف النحوي من جهة حين يقدر بـ (موجود) و كائن (كون عام)، وفي باب الحذف البلاغي حين تحصر فائدة الخبر في الاختصار والتسهيل والإيجاز والتيسير وغيرها وكلها تدخل في الحذف الواجب ومرة في الجائز الذي اعتاد العرب عليه.

٣/ حذف الأفعال في الحديث النبوي الشريف:

إن الحذف في بناء الجملة الفعلية أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، فقد يحذف الفعل والفاعل من سياق الجملة في مواطن ذكرها النحاة في كتبهم، وبعد استقراء مواضع حذف

---

[1] صحيح البخاري رقم ٢٢٩٩ باب اللقطة.

الفعل مع فاعله في الحديث النبوي الشريف نجد أنّ أنماط الحذف قد تعددت منها :

● حذف الفعل مع فاعله لدلالة السياق عليه (معموله)جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لابنة عمه "أم هاني "بنت أبي طالب عندما جاءت إليه تشكو من أخيها علي ــ رضي الله عنه ــ من أنه أراد أن يقتل أحد الأشخاص وقد أجارته ، وكان ذلك في فتح مكة ، فقال لها صلى الله عليه وسلم : مرحبا بأم هاني[1]. فالبنية الأساسية : "مرحبا "هي :

لقيت ← فعل
مرحبا ← مفعول به

فعل + فاعل + مفعول به

فحدث في الجملة الفعلية حذف للفعل مع فاعله ، فكان بناء الجملة ظاهريا كلمة واحدة ، أدى معنى الجملة الواحدة ، وهذه الكلمة جرت مجرى "المثل" فاستغني عن الفعل والفاعل لكثرة الاستعمال ، وبجانب ذلك للإيجاز والاختصار للدلالة على سرعة الترحيب بالقادم نحو المتكلم ، فكان اختصار الكلام دلالة على الحفاوة والاهتمام.

●حذف الفعل في باب الإغراء والتحذير : راعى الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الإغراء ترغيبا ، وأسلوب التحذير ترهيبا ، وهي مواطن كان فيها الحذف مع التحذير عند حذف الفعل مع فاعله ، أما الترغيب والإغراء فقد ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الحوار الذي جرى بينه وبين جابر بن عبد الله ، قوله صلى الله عليه وسلم : "....أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس."[2]، فعكس الحديث بنية الجملة الأساسية "الكيّس الكيس" هي :

الزم ← فعل وفاعل محذوفان
الكيس ← مفعول به
الكيس. ← توكيد لفظي

فحذف الفعل والفاعل المستتر وجوبا لفعل الأمر ، وبقي المفعول به المنصوب على الإغراء لأّن الغرض تنبيه المخاطب إلى أمر محمود ليفعله ، لذلك نبّه الرسول صلى الله عليه وسلم جابر بأن يلزم الفطنة والتروي في بداية زواجه ، ويقصد بالكيس : "الولد كما جاء في كتب التفاسير"[3] ، فكان الحذف من باب ذكر (المغرى به) فقط وهو الكيس ، وذلك لتعجيل النصيحة لجابر وبيان أهمية الشيء المذكور لتعلق المخاطب به ، ورغبته فيه.

/ حذف المفعول به لدلالة السياق عليه : اهتم "الجرجاني" بحذف المفعول به أيّما اهتمام ، فقال "اللطائف فيه

---

[1] فتح الباري حديث رقم ٣٥٧ كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد.
[2] صحيح البخاري حديث رقم ١٩٩١ باب شراء الدواب والحمير .
[3] ينظر فتح الباري حديث رقم ٥٢٤٥ كتاب النكاح باب طلب الولد .

أكثر وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[١]. و يكثر حذف المفعول به في الأحاديث النبوية تحت قاعدة: " يجوز حذف المفعول به إذا دل عليه دليل في مواضع بعينها"[٢] ومن أمثلة هذا الحذف: قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أريت النار، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن"، قيل: أيكفرن بالله؟: قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان..."[٣]، فجاءت البنية الأساسية لقوله صلى الله عليه وسلم يكفرن(الأولى) هي :

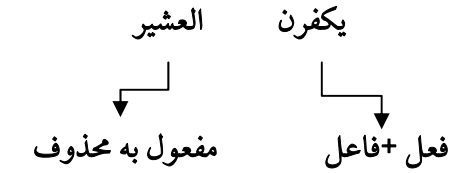

وجاءت الجملة في سياق خبري مثبت: حذف فيه المفعول به للفعل المتعدي، "يكفر" اختصارا وإيجازا، وبذلك أراد الرسول صلى الله عليه وسلم جريا على عادة العرب في خطاباتهم أن يشارك المخاطب معه بإعمال ذهنه في الأسباب الموجبة لدخول كثير من النساء النار، كما دلّ السياق عليه من خلال إجابته صلى الله عليه وسلم لسؤال من سأل : عن أي كفر يكون أكثر أسباب دخولهن النار؟

ومن أمثلة الحذف كذلك الحديث المرفوع إلى حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "البيّعان بالخيار، ما لم يتفرّقا، أو قال حتّى يتفرّقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما ..."[٤] فيظهر من خلال الحديث أن الحذف للمفعول به يؤثر في النفس أكثر من ذكره، وأن هذا الحذف يوصل فكرة يصعب إيصالها لو ذكر هذا المفعول، وذلك من خلال البنية الأساسية: (فإن صدقاً) هي:

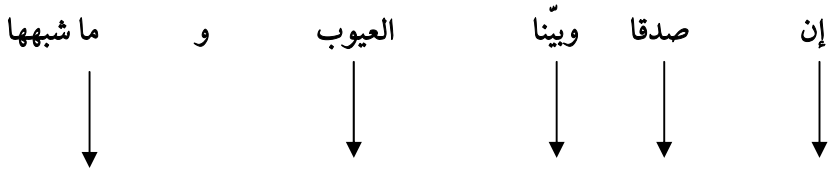

جازمة شرطية + فعل وفاعل + فعل فاعل + مفعول به محذوف+ معطوف على منصوب

فقد تم حذف مفعول الفعلين: (بيّن، وكتم) فأفاد هذا الحذف العموم، لذلك فإن أي كتمان مهما كان نوعه ودرجته يؤدي إلى محق البركة، فيجب على البائع أن يبيّن بضاعته بيانا شاملا، فلو ذكر الحديث المفعول به لكان

---

[١] الجرجاني دلائل الاعجاز ص ١١٨ .

[٢] ابن هشام الانصاري مغني اللبيب ص.٦٣٣ .

[٣] صحيح البخاري، فتح الباري، حديث رقم: ٢٩ كتاب الانبياء، باب كفران العشير.

[٤] صحيح البخاري، حديث رقم: ١٩٧٣، كتاب البيوع، باب اذا بيع البيعان.....

واجب التبيين مقصورا على هذا المفعول المذكور، وكذلك لو ذكر مفعول الفعل "كتم" لجعل المحرم كتمانه مقصورا على هذا المذكور، ويفهم من ذلك أنه يجوز كتمان البقية، وبهذا يظهر أن ذكر المفعول به يؤدي إلى غير المقصود، فالحذف لابد منه،

٥/**حذف جواب الشرط** : تبرز الناحية البلاغية في الحذف أكثر ما يبرز في حذف جواب الشرط، ذلك أن الحذ ف ـ كما مر ـ يكون للإيجاز والاختصار غالبا، أما الحذف في جواب الشرط وجواب الطلب ابلغ ما يكون في ذكرهما لأن ذكر الجواب يجعله مقصورا على الوجه المذكور، أما الحذف فانه يفتح باب الاحتمالات ويعطي السامع فرصة ليذهب في تقدير هذا المحذوف كل مذهب، وهذا يتضمن أحيانا معنى التفخيم والتعظيم وغير ذلك من المعاني التي يحددها السياق، أو يعطي السامع صلاحية تحديدها والتوسع فيها، ويمكن أن تحصر بعض مواطن الحذف في الحديث النبوي من خلال الجدول التالي :

نص الحديث	جواب الشرط المحذوف	كتاب الحديث وبابه
اسمعوا وأطيعوا، وان استعمل عليكم عبد حبشي كأنّ رأسه زبيبة(.....)	**فأطيعوه**	**الأحكام، باب السمع والطاعة**
من قال: سبحان وبحمده في يوم مئة مرة حطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر(.....)	**فهي محطوطة**	**الدعوات، باب فضل التسبيح**
فهلا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك؟إن كنت صادقا(...).	**فاجلس**	**الأحكام، باب محاسبة الامام عماله**
مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها و يتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة (.....).	**والتقدير لولا وضع اللبنة (موجود): لقالوا ا: إن هذه الدار رائعة**	**المناقب، باب خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم**

٦/**حذف المضاف إليه** : كثيرا ما وردت صيغ حذف المضاف إليه، بأنماطه المختلفة في الحديث النبوي، ومنها :

● **حذف المضاف إليه بعد(قبل)** : جاء ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ومن ذبح قبل، فإنما هو لحم قدّمه لأهله"[1] فتظهر البنية الأساسية لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

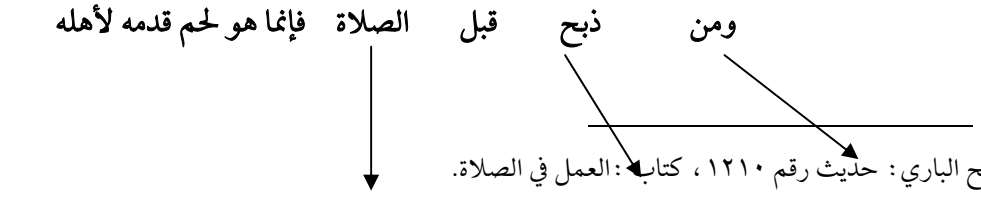

[1] فتح الباري: حديث رقم ١٢١٠، كتاب: العمل في الصلاة.

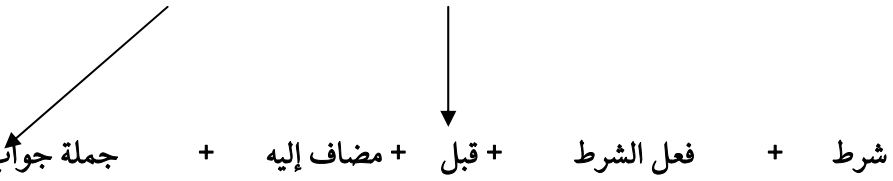

فالبناء التركيبي لحديث الرسول"ص" جملة شرطية حذف فيها المضاف إليه في جملة الشرط إيجازا واختصارا، اعتمادا على قرينة السياق من جهة، وعلى العلامة الإعرابية (قبل) على آخر المضاف الذي يحتاج إلى مضاف إليه من جهة أخرى، وهو حديث ورد في سياق حديث المصطفى عن الأضحية على أنها لا تجوز ولا تقبل إلا بعد صلاة العيد، أما قبل الصلاة فهو لحم يقدم ليس لصاحبه ثواب الأضحية .

وقد ورد موطن للحذف أورده "ابن حجر" في باب ذكر مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه، قول الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل"[1] فالتقدير – بعد ذكر المحذوف – في البنية الأساسية : ... من قبله. بإضافة الضمير المستتر العائد على الصحابي، إشارة من رسول الله إلى كلام بعض الصحابة في إمارة أسامة بن زيد حين جعله أميرا على الجيش، فاكتفى بالتعبير عن أبيه (زيد) بالضمير المحذوف بعد(قبل) بناء على سياق الحديث .

● **حذف المضاف إليه بعد (بعد) :** ورد هذا النوع من الحذف في باب ذكر طلاق عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لزوجته، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر: مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد و إن شاء طلّق[2].

تظهر البنية الأساسية للجملة من خلال: (إن شاء امسك بعد): بحذف مقدر بعد (بعد)يفهم من السياق تقديره: إن شاء امسك بعد الطهر(أداة شرط + فعل الشرط + الجواب+ مضاف إليه).

فالجملة الشرطية حذف فيها المضاف إليه اختصارا، و دل السياق على المحذوف مبينا ما يجب على (عبد الله) فعله، وهو عامل نفسي في الطلاق البدعي إن طلق زوجته وهي حائض، فيمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر وبعدها يتخذ موقف الإمساك أو التطليق.

٧- حذف الحال لدلالة السياق عليه :

يحذف الحال كغيره من المحذوفات، إذا دل عليه دليل، وقد يحتاج الأمر للبحث في المعاني وما وراء الظاهر مع ربطه بأحاديث أخرى لمعرفة المحذوف، وقد ورد الحذف في الحديث النبوي للحال في مواطن قليلة مقارنة مع غيرها من المحذوفات، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"آنا وكافل اليتيم في الجنّة كهذا وأشار بالسّبابة

---

[1] فتح الباري: حديث رقم: ٣٧٣٠، كتاب المناقب، باب ذكر مناقب زيد بن حارثة.

[2] فتح الباري: حديث رقم: ٥٢٥١. كتاب الطلاق باب: الغيرة.

والوسطى[١]" فتكون البنية الأساسية: أنا وكافل اليتيم في الجنّة (مجتمعين)هكذا .مكوّنة من (حال)محذوف دلّ عليه سياق الحال بالقرينة الحالية، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" بعثت أنا والساعة هكذا"[٢]، فالجملة خبرية مثبتة حدث فيها تحويل بالحذف، فحذف الحال من البنية التركيبية لجملة، فبذلك يكون البناء الظاهري للجملة:

فعل + نائب فاعل + توكيد + أداة عطف ومعطوف + حال محذوف

فكان حذف الحال للاختصار، ودلّ عليه المشاهدة من النبي صلى الله عليه وسلم وهو إشارته بإصبعيه وقوله هكذا، فـ (الحال الشاهدة)التي يقع فيها الحذف الكلامي كعنصر من عناصر الكلام، وهي نوع ثابت للحذف، والتعبير بالحال المشاهدة مصطلح فصيح عند علماء اللغة، كما في قول "ابن الأنباري": "الفعل إنما يضمر إذا كان عليه دليل من مشاهدة حال"[٣].

٨- حذف التمييز لدلالة السياق عليه:

كثيرا ما تشكل ظاهرة حذف التمييز في الحديث النبوي سمة ظاهرة في الأحاديث التي تعلق فيها الأمر بتمييز العدد خاصة، ونورد حديثا اقترن برحلتي الإسراء والمعراج التي فرضت فيها الصلاة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:" ... فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي...."[٤]، وهي صورة من صور فرض الصلاة على المسلمين، وبيان قيمتها وأهميتها، فالبنية الأساسية للجملة :

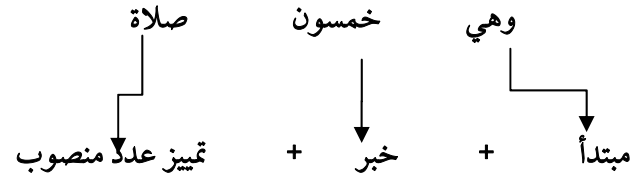

فحذف التمييز من الجملة اعتمادا على فهم المخاطب للسياق، فالحديث يدور على فرض الصلاة، ومراجعة النبي صلى الله عليه وسلم لعدد الصلوات، وحذف التمييز بناء على فهم المحذوف من سياق الكلام.

---

[١] فتح الباري حديث رقم ٣٥٠٤ كتاب الطلاق باب اللعان.

[٢] فتح الباري، حديث رقم: ٦٥٠٤، كتاب الرقاق.

[٣] ابن الأنباري ـ أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت البيطار، دمشق، ص: ١٦٣ .

[٤] صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٤٢، فتح الباري ٣٤٩، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة.

ومما ورد من التمييز نوع آخر يعرف "بتمييز النسبة " أو" تمييز الجملة" : حذف التمييز بعد اسم التفضيل، ومنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين أثنى على مكة والمدينة مبينا فضائل كل منهما قوله: " اللّهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكّة أو أشدّ"[١]، فالتقدير هو التمييز المحذوف: أشدّ حبا: وهو تمييز اسم التفضيل المنصوب.

ومنه كذلك "تمييز اسم الاستفهام" : الوارد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "... ثم قيل له: كم اعتمر رسول الله...؟"قال : أربعا" [٢]، فالتقدير كم مرة ؟ أو كم عمرة لأن كم الاستفهامية تحتاج إلى تمييز منصوب، وتمييزها مفرد منصوب يجوز حذفه للدلالة عليه[٣].

٩- حذف الموصوف لدلالة السياق عليه :

هو وجه آخر من أوجه الحذف في الحديث النبوي الشريف، وهو حذف يجوز إذا دل عليه دليل في سياق الكلام، على الرغم من أن الموصوف عند النحاة يأبون حذفه باعتبار الصفة والموصوف كالشيء الواحد من حيث البيان والإيضاح، إلا أنه قد يحذف إذا ظهر أمره، وقويت الدلالة عليه، إما بحال أو لفظ، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف في مواطن عدة، نكتفي بمثال واحد هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: عندما مر على قبر من القبور وسمع صوت إنسانين يعذبان فقال: وما يعذبان في كبير..."[٤]، فنلحظ التركيب الأساسي لقوله صلى الله عليه وسلم: وما يعذبان في كبير تقديره:

فجاء حذف الموصوف (ذنب) إيجازا واختصارا، لدلالة السياق من جهة وبيان سبب التعذيب(الذنب)من جهة أخرى، وكذلك بديل مجيئ لفظة كبيرة مذكرة لتلائم لفظة(ذنب) عوض لفظة معصية مثلا، كما نجد ذلك الحذف في موطن آخر للترغيب بعد أن كان الأول للترهيب في بيان وقت ليلة القدر قوله صلى الله عليه وسلم: " التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى..."[٥]فالبنية الأساسية للجملة: في تاسعة تبقى هي:

---

[١] فتح الباري، حديث ١٨٨٩ ، كتاب: فضائل المدينة.
[٢] فتح الباري، حديث ١٧٧٥ ، كتاب العمرة.
[٣] ينظر: شرح ابن عقيل، ج/٢، ص: ٤٢٠.
[٤] فتح الباري، حديث رقم: ٢١٦ ، كتاب :الوضوء، باب: من الكبائر.
[٥] فتح الباري، حديث رقم: ٢٠٢١ ، كتاب: فضل ليلة القدر.

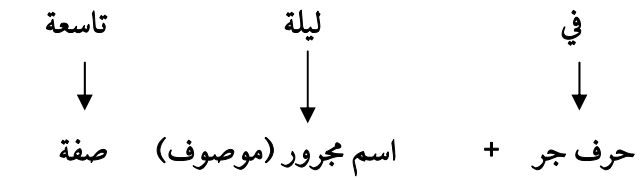

فحدث للجملة حذف في مكوناتها بين الصفة والموصوف، فحذفت (ليلة) (موصوف) وحلت محلها: (تاسعة)(صفة)، وهذا حذف جائز للاختصار بدليل وجود قرينة لفظية دلت عليه وهي (ليلة القدر)، وكلها سياقات من شأنها حث المسلمين على الاجتهاد في العبادة في تلك الليالي.

وقد شمل الحذف مواطن أخرى من الحديث سواء تعلّق الأمر بالحروف والأدوات، كالأدوات الناصبة، وبعض حروف المعاني، وحروف الجر، وحروف النداء، كما شمل الحذف الاسم في صور: النعت، حذف البدل، المنادى والحال وغيرها، وليس بعيدا عن الجملة فشمل الحذف حذف الجملة من جهة: (جملة الصلة، جملة مقول القول، جملة السؤال، وحذف أكثر من جملة وغيرها.).

وفي خلاصة هذه الإطلالة السريعة على أوجه الحذف في الحديث النبوي الشريف من خلال محطات فقط دون أخرى، نوجز نتائج للحذف، منها :

التعرف على معاني الحذف كونه ظاهرة تشكل تقاطعا بين اهتمام النحويين والبلاغيين.

تعددت أشكال الحذف في الحديث النبوي على مستوى المفردات وكذا الجمل .

ورود حذف المبتدأ والخبر مثلا على أوجه مختلفة للحذف، تتعدد بتعدد مسوغات الحذف.

كثيراً ما يكون السياق سببا في الحذف، سواء تعلق الأمر بالمفردات أو الجمل .

يبقى الحذف ظاهرة لغوية بارزة، كثيرا ما تكون في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب بصور وأشكال اعتنى بدراستها كثير من علماء اللغة وكذا علماء البلاغة.

كثيراً ما تساهم القرينة في بيان مواطن الحذف في الحديث النبوي، كما سجلنا ذلك في: القرينة: الحال الملاحظة، وإلا فإنّ الحذف لا يؤدي إلى معنى في التعبير بعدم وجود هذه القرائن.

❑❑